مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد ٦: ٢٠١٨
Journal of University of Babylon, Humanities, Vol.(26), No(6): 2018

# The Semantic Breadth in the Literature of Imam Hassan (peace be upon him)

**Muthanna Abdul Rasool Mughir Al Shukri**
*College of Crimean Studies – University of Babylon*

**Sura Haidar Adnan Witwit**
*College of Crimean Studies – University of Babylon*
**sura.saif@yahoo.com**

## Abstract

The research attempts to monitor the semantic breadth in the literature of Imam Hassan (peace be upon him),We relied on the methodological approach, It was necessary to divide the research into three sections, The first section is the structure of the branch,The research dealt with tandem and verbal participation, In the second section, the contiguous structure,To engage in the third structure of displacement (metaphor and metaphor,The most important sources we have adopted, Musnad Imam Hassan peace be upon him, Collected and arranged by Sheikh Aziz Allah Al-Atardi).

**key words**: Syntheticstructure, Tandem, Verbal subscription, Contiguous structure, Structural displacement, Linguistic metaphor, The metaphor

# الإتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن (عليه السلام)
## (دراسة أسلوبية)

**مثنى عبد الرسول مغير الشكري** **سرى حيدر عدنان وتوت**
*كلية الدراسات القرآنية – جامعة بابل*

## الخلاصة:

يحاول البحث رصد الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن عليه السلام، معتمداً على المنهج الاسلوبي، وقد اقتضت الضرورة أن يقسم البحث على ثلاثة أقسام، أما القسم الأول فتناول البحث البنية الاتساعية (الترادف والاشتراك اللفظي)، وفي القسم الثاني البنية المتجاورة (الكناية )، ليخوض القسم الثالث في البنية الانزياحية (المجاز اللغوي والاستعارة) وأهم المصادر التي اعتمدناها مسند الإمام الحسن (عليه السلام) جمعهُ ورتبهُ الشيخ عزيز الله العطاردي.

**الكلمات المفتاحية:** البنية الإتساعية، الترادف، الاشتراك اللفظي، البنية المتجاورة (الكناية)، البنية الانزياحية، المجاز اللغوي، الاستعارة

**التمهيد:**

إنَّ بنية الاتساع تشكّل ملمحاً أسلوبيّاً، إذ تعدّ وسيلة من وسائل الكشف عن طبيعة تشكيل المفردات، والبعد الدلالي لها ، فهي تقنية أسلوبية تعمل على إثارة المتلقي من خلال تضييق العبارة، وتوسيع الدلالة.

وبالإجمال فإن اللغة تعدها وعاءً للبنية الإتساعية، وتشكل نسقًا دلاليًا لفظيًا استراتيجيًا في التواصل الانساني لكونها على حد تعبير بارت لا تمدّنا بالمعنى بل هي نموذج المعنى بحد ذاتها ثم إنها– أعني اللغة– بطبيعتها تؤثر، بل ووجدت لتؤثر فخاصية المعنى وخاصية التأثير في اللغة الطبيعية تفسران البعد الدلالي، وهذا البعد لا يظهر إلّا من خلال البنية السياقية التي تشدّ من خلالها الدلالة وهي مختلفة في اتساعها أو بالأحرى مدى تمظهر الاتساع الدلالي الذي تخدمهُ اللغة[١].

إن الاتساع الدلالي فاعل مهم في أبراز المعنى فهو يمنح النصّ معنىً جديدًا غير المعنى المعجمي الذي تحملهُ الألفاظ، فالاتساع الدلالي ينقلنا إلى المعنى الثاني للألفاظ والذي يفهم من خلاله ما وراء المعنى الأصلي للألفاظ.

وقد اطلق عليه عبد القاهر الجرجاني (معنى المعنى) فـ((الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل))[٢]، فالدلالة لا تقف عند استعمال الألفاظ المقروءة فحسب، بل تنتظم تلك الألفاظ بمجموعات تختلف تبعا للمعنى الذي تريد التعبير عنه[٣] ؛ لأن الكلمات إن توالت ألفاظها في النص، تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل[٤]، مما يؤدي إلى كشف الإنزياحات الحاصلة في النص من خلال علاقتها بالبنى الداخلية، والأسلوبية تسعى للوصول إلى معان تمنح النص سمة بارزة؛ لأنها تعد((التفضيل الدلالي أو الدلالة على نطاق مصغّر)) [٥].

في هذا البحث نسعى إلى مقاربة الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال أدوات أطمأن البحث إلى أمكانيتها في ترقبهِ وكان الوعاء الحاضن لهذه الادوات هو المنهج الأسلوبي، الذي من خلاله أمكننا في الكشف عن سمات نتاج الإمام وتحليل مكونات اتساعه الدلالي ومنها:الترادف، والمشترك اللفظي، والبنية المتجاورة، والانزياحية متمثلةً بالمجاز والاستعارة، فهو منهج كاشف لكثير من الجوانب اللغوية والدلالية. وسنلحظ من خلالها الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن(عليه السلام) لأنه ينتمي إلى منظومة إسلامية، غنية بالمضامين الموضوعية فضلًا عن رصانة الاسلوب وبلاغة ألالفاظ.

**أولًا: الترادف**

في الترادف قيمة أسلوبية تتحــقق بفضل العلاقات الدلالية القائمة بين أزواج من العناصر اللفظية التي يمكن إدراكها في أثناء فــكِّ شفرات النص؛ ذلك أنّها تعــتمد على المعرفة المسبقة لدى المتلقي بالكلمات المائلة إلى الظهور المشترك المتكرر في السياقات المتشابهة، فهو((توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ))[٦]، ولا يقف الترادف في الدراسات الأسلوبية على نوع واحد فحسب، بل انواع متعددة تؤدي المعنى اللازم في النص، ومن أمثلة ما جاءت به هذه الازواج اللفظية دالة على الترادف، ما ورد في سياق خطبة الإمام الحسن(عليه السلام) بعد البيعة له بالخلافة، إذ قال:((**وأنا أنصح خلق الله لخلقه ما أصبحت محتملاً على امرأ مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة وأني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم وأن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة..، غفر الله لي ولكم وأرشدني واياكم لما فيه المحبة والرضا**))[٧].

والتقارب واضح جلي فيما تقدم بين اللّفظتين (ضغينة،غائلة) واصلهما(ضَغَنَ، غَلَّ) يتصالحان في ظالة: الحِقْدُ والحسَدُ والغِشُّ والعداوة،[٨]، وربّما أراد الإمام(عليه السلام) في المصاحبة بينهما إبراز المضمون الانفعالي للكلمة الأولى، وإعلائه بذكر مرادفها، الذي يشترك معها في المضمون، إذ يؤكّد في اللفظة الثانية على الأسس، والركائز التي سينتهجها في خلافته، منها: العدالة لرعيته في حكمه، وإظهار الحق، ونشر التسامح بدل الحقد والضغن...الخ، ثم نلحظ ترادفاً مشتقاً أخراً احتوته الخطبة وهو ترادف الجذر الواحد، (خلق/ لخلقه) (ناظر/نظركم)، (المحبة، تحبون)، والأصل ثلاثي من (نَظَرَ) و(حبَّ) و(خَلَقَ)، إنَّ تضمين النصّ لهذا الترادف الجذري، نهض مقامَ الفيصل في تحديدِ مبادئ الخطبة من نصح لرعيته، ونظرة لأمورهم، وتشخيص ما هو خير، وشر، ثم حثهم على الالتزام بالشريعة الاسلامية، يتلمَّسُ القارئ في تلكَ المؤثرات الكاشفة عن كثرة الترادفات، فتغْدو ملْمحًا أسلوبياً؛ يدلل على استمرار تفاعل النص، ولعلَّه بحكم طبيعة ظروف الخطبة، قد أفتضى التنوعَ الترادفي وصولًا إلى جذب النفس شُعوراً وإقناعاً.

كما جاء الترادف في خطبة أخرى عند لقائه معاوية، إذ قال:((**أقول: معشر الخلائق فاسمعوا ولكم أفئدة وأسماع فعوا: إنَّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا واجتبانا، فأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراٍ والرجس هو الشك فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً وطهّرنا ... لم يفترق الناس قط فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما**)) [٩].

إذ تلحظ الفاظ:( أكرمنا، اصْطَفَانا، اجْتَبَانا، طهّرنا)، تدلّ في بنيتها العميقة على معنى متداخل، (الاختيار)، فقال:(اكرمنا) أي عظَّمه ونزَّهَهُ، وأن يُوصلَ إِلَى الإِنْسَانِ بنَفْعٍ لَا تَلْحَقُه فِيهِ غَضَاضَةٌ، أَو يُوصل إِلَيْهِ بشيءٍ شَرِيفٍ[١٠] وقال:(اصطَفَانا)، وتَعْنِي خُلاصَتُه؛ لأنَّ الاصطِفَاء يدلُّ على اختيارِ صَفْو الشيءِ[١١]، ورفع منزلتهم، وتفضيلهم على الآخرين، وأما (اجتبانا)، تدل على ((اختاره، واصطفاه، وقربه إليه)) [١٢] ، أي

بمعنى استخلاص واصطفاء اختياري قصدي، و(طهرنا) تدل على التَّنَزُّهُ من كل شيء عفةً وهي معاني سامية، فيُلحظ أَنَّ بينَ هذه المفردات الأربع رَوَابِط معنوية متقاربة، ولكن لكلٍّ واحدة فرقٌ دلالي دقيق، يدلُّ على اختيار الله (ﷻ) لمحمد(ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام)، فهم الصفوة والخُلاصَة، وقد يكون وراء جمع الإمام(عليه السلام) لهذه الألفاظ المتقاربة في المعنى قصدٌ وغرضٌ، يتسع لأكبر قدر ممكن من الصفات، مما يدلّ على اختيار أهل البيت (عليهم السلام) وانتقائهم من بين الخلق على وجه الخصوص والتفضيل، إنّ المرتكز الذي تستند عليه القيمة التمييزية للترادف هو موقع وهيأة الترادف التي تعبر عن مرجعية المعنى الدلالي الذي يتم رصده بين تلك الالفاظ المتشاركة، ثم نتلمس كيف أُستثمر السياق الداخلي أو السياق اللغوي كل ما يتعلق بالإطار الداخلي لبنية النص، وما يحتويه من قرائن ساعدت في فك شفرات المترادفات، والابانة عن دلالة الوحدة المعنوية للترادف وهي تسبح في نطاق التركيب.

ونقرا في أدب الإمام (عليه السلام) مترادفات كثيرة؛ ممّا يجعلنا نطمئن بصحة ثباتها أسلوبيًا، إذ تمثِّل– الترادفات– نقطة ربط بين مواضع وقوعها جميعًا، مكوِّنة شبكة داخل النصّ يخلق اتساعًا في المعنى يتميز بشدة الكثافة الدلالية ومن ثم يسهم في رسم حدود الدلالة.

ومن الترادف ما ورد في دعاء الإمام(عليه السلام):(( **يا من إليه يفر الهاربون وبه يستأنس المستوحشون، صل على محمد وآله واجعل انسي بك، فقد ضاقت عنّي بلادك واجعل توكلي عليك فقد مال عليّ أعدائك**))[١٣].

على وفق هذا الدعاء أمكننا ترقب عدد من الألفاظ، التي جاء التعبير بها عن مسمى واحد، والمعنى واحد، فلفظتي(يفر/الهاربون)،عند استثارة المعجم حولهما يدلان على:(الهَرَبُ: الفِرارُ يَكونُ ذَلِكَ للإِنسان...إِذا أَبْعَدَ فِي الأَرض؛ وأَهْرَبَ فلانٌ فُلَانًا إِذا اضْطَرَّه إِلى الهَرَبِ)) [١٤] كلاهما يدلُ على معنى الابتعاد المضطر، فالتوحد للمعنى بيِّنٌ واضحٌ على الرغم من اختلاف البِنية والصيغة فيهما إن حقيقة ((المعاني– من ناحية – أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يَستدعي إعادتها على أوجه مختلفة من الهيئات لاستيفاءِ المعاني))[١٥]؛ بما يدعم البُعد الدلاليّ ويؤكّده أويرسّخه في الذِّهن والنّفس، فضلاً عن كونه رابطاً شفافاً يُفسِّر ويَدعم في الوقت نفسه مركزية النص للألفاظ المترادفة(يفر/الهاربون) التي استندت اليها باقي الجمل، لما فيهِ تنويعٌ وتجديد يُدْلي بزيادة التوسع الدلالي مما يجعل المتلقي مبحراً في فضاء الدعاء.

**ثانيًا: المشترك اللفظي**

إن ((اللفظُ الواحد الدَّال على معنيين مختلفين فأكثر))[١٦] ذلك هو المشترك اللفظي. ويعد من الظواهر اللّغوية المعروفة ذات الثراء اللّغويّ، إذ لا يخفى على المتلقي ما يحمله المشترك من تعدد العلاقات الأسلوبية الرابطة للمعاني، وباختلاف أنماطها السياقية، ودلالاتها الصياغية، التي لا تخرج عن التوظيف؛ لإنتاج الدلالة المؤثرة والموحية، فضلاً عمّا تحقِّقه تلك المعاني من شبكات دلالية متناسقة تشغل مساحة واسعة من النص.

ومن أمثلته ما ورد عند الامام مخاطبًا أهل الكوفة، إذ قال:((**أيها الناس، فأن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دمائكم باخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه: وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين...**)) [١٧].

إذ برزت لفظة(هداكم)، تدل هذه على معانٍ مشتركة، منها: دِين الإسلام، والبيان، والإيمان، والدّعاء، والمعرفة، وأمر النبي(صلى الله عليه وآله)، والرشد، والرُّسُل، والقرآن، والتوراة، والتوفيق، والتوحيد، والسُّنَّة، والتوبة، والإصلاح، والإلهام[١٨]، والمعنى الأصلي للهدى، هو:الإرشاد، والجذر اللُّغَوي الثلاثي هو(هَدِيَ)، الدَّال على((قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ. وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ))[١٩]، مع الإرشاد، فالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده أهلبيتهِ(عليهم السلام)، فالمعنى هداكم الذي هو هُدى الله تعالى، مما أحال الدلالة إلى مقامٍ لم يذكره النص يستوحى من اللفظة (أولنا)الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيهِ وخليفتهِ الإمام علي(عليه السلام)، ثم عزز ذلك المشترك في اللفظة(هداكم) بالجملة( وحقن دمائكم بأخرنا) التي شحنت سياق الخطبة قوة ودعماً، والمقصود بها الإمام (الزكي(عليه السلام))، بمعنى، إن التصالح مع معاوية، كان سبباً في حماية اتباعه من القتل، وصيانة المبادئ الدينية التي هي خير من كل شيء،((فالمجال الدلالي يتحدد عن طريق العلاقات بين دلالات الألفاظ في نظام النص، فضلا عن ارتباطها بالسياق الخارجي في شكل من الأشكال)) [٢٠].

وتكررت لفظة(هداكم) مرة أخرى في سياقٍ آخرٍ، لتدل على معنى التوحيد، ونجد في قول الإمام (عليه السلام) **مذكراً للناس:(( وقد علمتم ان الله هداكم بجدى محمد، فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة واعزكم بعد الذلة، وكثركم بعد القلة))**[٢١]، ويريد الإمام من ذلك، إي جدي(صلى الله عليه واله) الذي جاءكم بالإسلام دين الحق لينقذكم مما انتم فيه من كفرٍ وشركٍ ... [٢٢]، وهذا مدعاة الفخر للأمام للحسن(عليه السلام) من جهة، وإقامة الحجة على هؤلاء القوم، لئلا يكونوا في ظلالة غيره،ويلتحقوا بسفينة النجاة أئمة الهدى(عليهم السلام)، من جهة أخرى، فالهدى جاءت بمعنى التوحيد.

ومن الالفاظ المشتركة التي اكتنزها ادب الإمام الحسن(عليه السلام) لفظة (العين) في رسالته لمعاوية، إذ يقول:(( **أما بعد فأنك دسست الرجال للاحتيال وللاختيال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء فتوقعه إن شاء الله تعالى...**)) [٢٣].

وعند مفاتشة هذا النص نجد اللفظ المشترك(العيون)، دلَّ: على الذي تبعثه يتجسس الخبر، ويقال: اذهب فاعتن لنا، أي تجسس لنا[٢٤] ، فانضوى هذا المعنى على المراقبة لصالح معاوية، وزمن النص هنا بعد مبايعة الإمام الحسن بالخلافة، فأرسل معاوية رجاله لأثارة الفتن والاضطراب: لتأليب الناس على الإمام(عليه السلام)، فإنّ التنقيبَ عَنْ هذا المشترك يقتضِي تداخله مع السياق، فنلحظ مجي (عين) هنا داعمة ومعززة لمجموعة من الصفات السيئة المتأصلة لمعاوية، فاحتيال، واختيال وختمها بالتجسس (أرصدة العيون)، فإن تسلسل المعاني، والدلالات تعقبهُ استجابة؛ لتحقيق قصدية النص بالتأثيرِ في السّامِعِ وإشْراكِهِ فيما يَكمُنُ في مشاعرِهِ.

كما وردت لفظة (العين) في سياقٍ آخر من أدب الإمام الحسن(عليه السلام) بمعنى (النظر)، وذلك في قوله لعمرو بن العاص:((**ان لأهل النار علامات يعرفون بها، إلحاداً لأولياء الله وموالاة لأعداء الله والله إنك لتعلم ان علياً لم يرتب في الدين، ولم يشك في الله ساعة ولا طرفة عين قط والله لتنتهين يا ابن ام عمر او لأنفذن حضنيك بنوافذ اشد من الأقضية**)) [٢٥].

في المعجم اللغوي أن ((طُرِفَتْ عينُه، فَهِيَ تُطْرَفُ طَرْفاً إِذَا حُرِّكَتْ جُفونُها بِالنَّظَرِ))[٢٦]، والسياق هنا في مَعرِضِ تعداد فضائل الإمام علي(عليه السلام) وخصاله، وهذه الفضيلة سائرة على أهل البيت(عليهم السلام)، أنهم بيت النبوة، ومحل الرسالة، واختلاف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، وغاية الحلم، وأصل الكرم، وقادة الأُمم، وأصحاب النعم؛ فبُني هذا المقطع من النَّصّ على وفق نسقٍ أسلوبي محكوم بعلاقة قائمة على النفي التام، إي نفي الشرك عن الإمام علي(عليه السلام) ولو بطرفة عين، فمن السمات الأسلوبيـــة اللافتة للنظر في هذا النص هو الابداع البلاغي والخيال الخصب للإمام الحسن(عليه السلام) الذي تتوافر له الكفاءة لخلق التعبير الذي يترجم أصالة الإشارة، تلك الإشارة التي فضحت عمرو بن العاص ومن معه، بحيث إن اللفظ المشترك ((شَكَّل شبكة موحدة تدْعَمُ الغرض المتصل بالنص كما تتيحُ لهُ الفرصة في تنويع الوجوه والملامح المختلفة للمعنى))[٢٧]، ويمكن الجمع في تفسير اللّفظ المشترك (العين)، بين قولين ومعنيين من معانيه، يحتملها جميعا لإغناء الدلالة عن اللفظ[٢٨]؛ لأنها ترد في سياقات مختلفة، فهي متعددة المعاني، فقد أوصلها ابن خالويه إلى ثلاثين قسماً، إذ قال:(( والعين تنقسم في كلام العرب ثلاثين قسماً...)) [٢٩].

ومما سبق ثبت أن البنية الاتساعية المتمثلة بـــ( الترادف والاشتراك اللفظي) تعد أساساً في تكوين العديد من المعاني والدلالات، ومظهراً هامّا من مظاهر التحليل الأسلوبي.

**ثالثًا: البنية المتجاورة (الكناية)**

الكناية لها الأثر الكبير في رسم ملامح النص لتجعله أكثر خفاءً في ذهن المتلقي،لأنها تحمل دلالة إيحائية بارزة لما يُريده المتكلم لـــ((إثبات معنى من المعاني فلا يذكرهُ باللفظ الموضوع لهُ في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيومئ بهِ إليهِ ويجعلهُ دليلاً عليهِ، فيدل على المراد من طريق أولى)) [٣٠].

وقد مثلت الكناية طابعاً أسلوبيا بارزاً، في أدب الإمام الحسن(عليه السلام) سنقف عليها محاولين الكشف عن المعنى العميق الذي سعت إليهِ، والكشف عن الصورة المعبرة عن أفكاره، ومقاصده، في خطبتهِ(عليه السلام): ((**ايها الناس! انه لا يعاب احد بترك حقه وانما يعاب ان يأخذ ما ليس له، وكل صواب نافع، وكل خطأ ضار لأهله... فأما القرابة فقد نفعت المشرك، وهي والله للمؤمنين انفع قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه ابى طالب وهو في الموت: قل لا اله الا الله، اشفع لك بها يوم القيامة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه**

**وآله يقول: له وبعد الا ما يكون منه على يقين، وليس ذلك لاحد من الناس كلهم غير شيخنا- أعنى أبا طالب - ...))** [٣١].

يسعى الإمام(عليه السلام) في هذه الخطبة إلى ترسيخ العديد من المعاني السامية التي يتمتع بها، ويريد بها تذكير الناس؛ لتكون حجة على الآخرين، إذ كنى عن موصوف في قوله(انه لا يعاب احد بترك حقه)، فما حملتهُ هذه الجملة من معنى، قصد من ورائهِ ترك أهل البيت حقهم من بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لئلا تظهر الفتن وتزهق الارواح من أشر الناس، هؤلاء الذين خالفوا وصية (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن سار على نهجهم السيء معاوية فيكني عنه الإمام(عليه السلام) بـــ(انما يعاب ان يأخذ ما ليس له)، فكوّنت الصور الكنائية شبكة ممتدّة داخل النصّ تربط عباراته، محقّقة الاستمراريّة، والاطراد داخله، مع إتاحة الفرصة لإضافةِ صور جديدة كقوله:(وكل صواب نافع، وكل خطاء ضار لأهله)، مما لا شك فيه إن الصواب بجانب أهل البيت، فهم مستودعُ مواريثِ الأنبياء، وأمناءُ الله (عزّ وجلّ)، وحججُ الله، وحبلُ الله، وأئمةُ الهدى، وهم السنامُ الأعظمُ، وهم الطريقُ والصراطُ المستقيمُ إلى الله(عزّ وجلّ)، ولعلّ السبب في ردف هذا القول داخل النصّ؛ هو: لترسيخه في ذهن المتلقّي، وتأكيده، فالمتكلّم يذكر جُملًا متعددة، لكي يصل بالمستمع إلى إقناعه، وأنَّ الأمر المهم الذي خلق رونق للكلام، و قيمته جمالية وتأثيرية في المقابل حديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) (لعمه ابى طالب... قل لا اله الا الله، اشفع لك بها يوم القيامة...)، فإباحة هذا تحرُّك بعض أجزاء النص وسوغ له بـــقوله:(وليس ذلك لاحد من الناس كلهم غير شيخنا – أعنى أبا طالب –).

كما قد لحظت الكناية في خطبةٍ أخرى مستنفرًا أهل الكوفة للقتال في حرب الجمل، إذ قال:((**ايها الناس إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله والى افقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون، من لم يعيه القرآن، ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة، الى من قربة الله الى رسوله قرابتين، قرابة الدين، وقرابة الرحم، الى من سبق الناس الى كل مأثرة... ))** [٣٢].

شَكلَ الإمام(عليه السلام) صورة كنائية مستفيداً منها عملية إثارة المخاطبين من خلال تذكيرهم بفضائل أبيه الإمام المرتضى(عليه السلام) وسابقته في الإسلام والجهاد وصلته بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، يبدو إن الإمام المجتبى(عليه السلام) مضطرٌ إلى ذكر هذه الفضائل، والأواصر، لئلا تغزو أدمغة السذج دعايات معاوية المضللة وأساليبه الخادعة التي كان يبثها بين حين واخر ويسمم بها الناس، فكنى الإمام الزكي(عليه السلام) أبيه(عليه السلام) بصفاته، ومنها (قرابة الرحم) كناية عن( كونه أبن عم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج ابنته سيدة نساء العالمين)، فالصورة المتخيلة ساهمت في إشعار المتلقي بقوة تلك القرابة، كما أسبغ التكرار في تعداد تلك الصفات العلوية بفاعليتهِ في تكوين الصورة النثرية، فالصورة الحية المعبرة التي أستلهم من خلالها الإمام(عليه السلام) لهذا المعنى الكنائي ليست بالغريبة على أبن أبلغ البلغاء وأمير الفصحاء، لما عُرفَ عنهُ في أدبه بالموهبة الفذة والتصوير الأبهى فاستطاعت هذه الكناية ان تنقل الذهن والروح الى مـــا يوضح تفاصيل تلك المرحلة من حياة الزكي

الطاهر(عليه السلام)، إذ كان سنداً لأبيه في ظل تكالب الاعداء على أمير المؤمنين(عليه السلام)، وليس من كلام بليغ يستطيع أن يعبر هذا التعبير لنقل صورة لنا، صور يقف أمامها المتلقي متأملاً .

وتتراءى صورة كنائية أخرى في خطب الإمام(عليه السلام) في الكوفة لما أتم الصلح، إذ قال:(( **فَإِنَّ أَكْيَس الْكَيْس التُّقَى وَإِنَّ أَعْجَز الْعَجْز الْفُجُور، أَلَا وَإِنَّ هَذَا الْأَمْر الَّذِي اِخْتَلَفْت فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَة أَمَّا أَنَّ يكَونَ حَقّ امْرِئٍ أَحَقّ بِهِ مِنِّي، أَمَّا أَنَّ يكَونَ حَقّاً لِي فقد تَرَكْته لِإِرَادَةِ إِصْلَاح الأمة وَحَقْن دِمَائِهِا، وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَة لَكُمْ وَمَتَاع إِلَى حِينٍ**)) [٣٣].

ارتكز النسق الكنائي في صياغة النَّصّ بين بنيتي التأكيد(فإنَّ أكيس الكيس...) و(وإنَّ أعجز...) الخارجيتين لِمعنى التوكيد؛ ليمنح بذلك الكناية مزيداً من التأكيد والبيان والإيضاح، ولكي يرفعَ المبدع إلى أدبية النص، وينقلَ الكناية من مستواها اللُّغويّ ذَيْ الدلالة الايحائية إلى مستوى جمالي أبعدُ تأثيراً، فَعمَدَ الإمام(عليه السلام) إلى المقابلة التخييرية بين موقع طرفي البنية المجاورة، فكني الزكي نفسه بـــ(أكيس الكيس التقى) فلا يظن المتلقي إن الإمام(عليه السلام) تردد شاكا في نفسه ومخالفا لاعتقاده و مذهبه لا و الله، ولكنه جرى على لغة القرآن المجيد في قوله تعالى:﴿ وَ إِنَّا وإِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ و(الْكَيِّس) هو مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعمل لِمَا بعْد الْمَوْتِ الحثّ على محاسبة النَّفس على كلِّ عمل وقول، وهو العقْلُ والفِطْنَةُ والفِقْهُ[٣٤] ، وإسناد الكيس إلى الكياسة إسناد مجازي، ويمكن أن يقرأ الكيس بتشديد الياء، وكذا التقي بتشديد الياء على وزن فعل، أي أكيس الأكياس المتقي، والأول أظهر بقرينة الفقرة الثانية،ثم الكنية الأولى رسمت تأكيداً مؤطراً بنفي الكناية الثانية وهي(أحمق الحمق الفجور) عن الإمام(عليه السلام)، بل هدفها فضح ظلالة هؤلاء القوم المبايعين للباغي معاوية، والأحمق مصدر اسم تفضيل؛ لأنه من العيوب الباطنة، والفجور: اسم جامع لكل شر، أي الميل إلى الفساد .

وبما أن الكناية واقعة في جواب سؤال ضمني خاص، فقد أكد الجواب بـــ (وَإِنَّ هَذَا الْأَمْر الَّذِي اِخْتَلَفْت...) مع التي دعمت تفصيل النص بـــالتركيب الشرطي(أَمَّا أَنَّ يكَونَ حَقّ امْرِئٍ ...أَحَقّ بِهِ مِنِّي ، أَمَّا أَنَّ يكَونَ حَقّاً لِي فقد تَرَكْته...)، وقد جاء الجواب بمثابة التعليل لما قبله، وكان لقوله:(إِصْلَاح الأمة وَحَقْن دِمَائِهِمْا)) ما يسوغه؛ لأنه كان ناتجا لمواقف، وأحداث قومه، ثم الختام كان بصورة كنائية عن معاوية بـــ(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَة لَكُمْ وَمَتَاع إِلَى حِينٍ) وحملت هذه الصورة توصيفات سيئة لمعاوية من القسوة والغلظة، والنصب، وسوء الرأي، والحقد والبغضاء والنفاق والخروج، عن الإيمان، وكل ذلك جاء مؤازراً القضية المحورية في النص هي: لجوء الإمام(عليه السلام) إلى الصلح دفع الضرر العظيم عن الدين والمسلمين وهذا أشهر من الشمس وأجلى من الصبح.

وتستمر البنية المجاورة بتقديم المعنى الكنائي في مواضع متعددة من أدب الإمام(عليه السلام) بما يقصده باعثها وما تحويه من قيم وخصائص أسلوبية تؤشر أسلوب دلالي مبهر، ومما جاء حاملاً لكناية الموصوف

دعاؤه في ليلة القدر، إذ قال:((**يا باطنا في ظهوره ويا ظاهرا في بطونه، ويا باطنا ليس يخفى ويا ظاهرا ليس يرى، يا موصوفا لا يبلغ بكينونته موصوف ولا حد محدود، ويا غائبا غير مفقود، ويا شاهدا غير مشهود يطلب فيصاب ولم يخل منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين لا يدرك بكيف ولا يؤين بأين ولا بحيث أنت...**)) [٣٥].

النص المتقدم يرفل بزخم دلالي يمكن وصفه بالممتع الفاعل، ذلك الإمتاع نستشعره من تراكم المعنى الكنائي المستتر وراء ألفاظه، وما يلوح به ذلك الاستتار من محفز ذهني مغر، يجعلنا – بفعل التطلع– نبحث لمعرفة المعنى المراد. أما الفاعلية فهي متأتية من قيمة الاشتغال الإضافية المتولدة من توسل أسلوب النداء في البناء التركيبي للنص المتضمن المعنى الكنائي وما يرافقه من رغبة في الاستجابة، فالإمام المجتبى(عليه السلام) كنى عن الموصوف الله جله علاه، بأكثر من صفة، بـــ(يا باطنا في ظهوره ويا ظاهرا في بطونه...)، فقد كنى عن الذات المقدسة مبرزا صفاتها وأحوالهما، ليمدحهما ويعظمهما وقد حملت ألفاظ النص انفاً على الرغم من تركيبها المختزل زخما دلاليا واضحا بعدما شكل المعنى الكنائي بؤرة الارتكاز له. ذلك الزخم الدلالي مبعثه مصدران:

أولهما: التكرار الدلالي المشتق(ظهوره، ظاهرا، بطونه، باطنا، موصوفا موصوف) والذي حملته فقرات المقطع المقصود والقائم في الأصل على تكرار هيكلي(بنائي) مما أنتج ما يعرف بـــ(التفاعل الدلالي النحوي)[٣٦]، كما((يهيّئ فرصة تنام النصّ؛ عبر إضافة عناصر جديدة، قادرة على إنشاء تيار دلاليّ متدفِّق في ذهن المتلقّي)) [٣٧].

وثانيهما: قصدية الإتيان: بالتركيب الندائي بهيأة تضاد بكل أجزاء النص(يا باطنا، يا ظاهرا، يا موصوفا، يا غائبا، يا شاهدا...) مما وفرت فرصة للشرّاكة بين الفضاء المعجمي والفضاء السياقي وما يترشح عن هذه الشراكة في إبراز(العلاقات المدارية) [٣٨] ومن ثم دورها في الإنتاج الدلالي.

واعتماد آلية النداء نسجت خيطا ترابطيا أسهم في إنتاج مفهوم(مشفر) فحواه تدور حول فكرة مفادها: إن التضرع لله يعد وسيلة من وسائِل التربية، وتهذيب وتكامل للنفس، وما يسمو بالإنسان من آداب وتعاليم، وما يحتوي من مفاهيمَ عقائدية، وفكرية، وأخلاقية، كما أن اختيار المنادى بصيغة اسم الفاعل (باطنا، ظاهرا...)، ففي هذا الاختيار ما يبرز الفضاء الصرفي فضلا عن ما يوحي به– ضمنا– بشمولية العجز والقصور الذي يوازيه بالمقابل عظمة الله وعلو شأنه تبارك وتعالى الذي( لم تخلُ منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين).

فأسلوب المجاورة المتمثل قد أفاد الإمام(عليه السلام) في التعبير عن المعنى الذي أراد إيصالهُ باختصار ودقة فكان أبلغ من التصريح؛ لأنها تختلف عن غيرها من الوان البيان لأتسامها بالعمق الذي يسهم فيه الخيال بشكل أكثر فاعليه.

**رابعًا: البنية الانزياحية**

(المجاز، الاستعارة)

تعد البنية الانزياحية ظاهرة أسلوبية بارزة في أدب الإمام(عليه السلام)،إذ تتعامل مع أجزاء النص اللغوية؛ لتعبير عما يريد من معنى وتقرر حال القصد وترسخه في ذهن المتلقي، والتعبير عن حقائق كان لها الأثر الكبير في مسيرتهِ المباركة، وقد تنوعت أساليب الانزياح، مما يدل على تنوع مدلولات الألفاظ التي عبر عنها، مما يجعلنا نعترف ببراعتهِ ومقدرتهِ العالية على توظيف تلك الأدوات.

**أ- المجاز اللغوي**

جاء أدب الإمام حافلا بالأساليب المتضمنة للعديد من الصور البلاغية، ومنها (المجاز) بما يحقق خصيصة أسلوبية متأتية من المفاجأة الدلالية المتولدة من الالفاظ التي تعد من أهم المفاتيح القرائية في النص، فهو يمدنا بزاد ثمين لتحليل النص، لما يحمله المجاز من شحنة دلالية تكشف المعنى الانزياحي ضمن التسلسل الحدثي الدائر حول فكرة النص المركزي، ومن دواعي استعمال المجاز ما ((يُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاث هي: الاتساع والتوكيد والتشبيه)) [٣٩].

وبغية معرفة الاتساع الدلالي، والوقوف عند قيمة المجاز الوظيفية، نتناوله متجليا في صورهِ المتحققة، فيها ذلك التوظيف لأنواع المجاز، ومن أمثلة ذلك المجاز اللغوي، ((**كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله ثم اثيرها هنا بأتياس الحجاز**)) [٤٠].

فالقراءة المتأنية للنص تدل على اكتنازهِ من مضامين فكرية، استطاع الإمام (عليه السلام) إيصال المجاز اللغوي، أي أنه استثمر المجاز ضمن المقطع البنائي لتحقيق تعاضد دلالي ساعد في الكشف عن ثيمة النص التي جُمعت مكوناتها في ضمن فضاء دلالي واحد، فقوله(عليه السلام):(كانت جمام العرب بيدي) اطلق الجزء واراد الكل، فجاء – مجازا– للتعبير عن قادة العرب الذين يحاربون للطمع ويسالمون من سالم لذلك، تلك الجماجم الخبيثة المنافقة التي حملت السوءَ والغلَّ للمجتبى (عليه السلام)، ومنهم الاشعب بن قيس الطماع، وشبث بن ربعي تابع كل ناعق، ومثير كل فتنة، كرهاً وحقداً على الإمام علي(عليه السلام)، فنراه (عليه السلام) أسند تلك الخيانات والصفات الرذيلة إلى الجماجم لا إلى أصحابها– أي ذكر الجزء وأراد به الكل(الاشخاص)، مع الالتفات إلى أهمية الشرط (من) الذي اعتمده (عليه السلام) في بنية المقطع التركيبي، وهذا الاستعمال حقق عدولا أسلوبيا، بوساطة التحول بحرف العطف(فتركته) عن الشرط إلى العطف مستثمرا ما يحققه العطف من جعل المساحة الفضائية ويحتوي الذات مكاناً وزماناً.

ومن الصور الأسلوبية الأخرى التي جاءت على سبيل (المجاز المرسل) في دعائه (عليه السلام) لطلبِ الاستسقاء،((**اللهم هيج لنا السحاب بفتح الابواب... اسق سهلنا وجبلنا وبدونا وحضرنا حتى ترخص به اسعارنا وتبارك لنا في صاعنا ومدنا أرنا الرزق موجوداً والغلاء مفقوداً آمين رب العالمين** ))[٤١].

إن لألفاظ النص تبعث في النفس ترقبا من التعب والارهاق لهؤلاء المترقبين نزول المطر المتضرعين لله (ﷻ) والإمام أثار هذا المعنى بفعل الامر المجازي(اسق)، لذا فقد سخّر المجاز المرسل بعلاقته المسببية (أرنا الرزق موجوداً والغلاء مفقوداً ) فذكر المسبب وأراد السبب وهو المطر، وهذا التعبير الذاتي الذي مثله المجاز هنا منح الصورة تأثيرا، ولكن الإمام(عليه السلام) لا يريد لهذا الوضع أن يستوطن نفس الداعي فيشيع فيها القنوط واليأس، وإنما أراد له تبديد ذلك الوضع النفسي المتأزم من خلال التلويح بـــ(هيج لنا السحاب بفتح الأبواب) بحقيقة رحمة الله وسعتها على البشر، وقد حقق ذلك التلويح من خلال التركيب الندائي (اللهم)، مع التشديد على الدلالة الصرفية المتحققة من الإتيان بصيغة الجمع(الأبواب). فقد كان بالإمكان أن يقول(باب) ولكن كلمة(أبواب) تعطي زخما دلاليا يوازي رغبته(عليه السلام) في إعطاء المتلقي زخما معنويا وترغيبيا، مما يغريه بمواصلة الدعاء لله تبارك وتعالى والاستزادة فيه ودوام التواصل، ومن ثم ترويض النفس وتهذيبها، وتكرار القالب السجعي في الفاصلة- صوت(النا)- الذي صُبّت فيه العبارات(سهلنا، جبلنا، بدونا، حضرنا...) ذات المحتوى المتباين؛ يجعل المتلقي يسير في انسيابية، شاعرٍ باستمراريّة تكراريّة، مع تغيير المعنى.

**ب- الاستعارة**

إن للاستعارة قيمة اسلوبية تبرز من خلال ما تنتجه من ((صور جديدة وغريبة وصادمة عن طريق تغيير علاقات اللغة)) [٤٢] ، وجمالية هذه الصور تتمظهر بمدى قدرتها على(( دفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة أو الطرافة، وإنما من قدرتها على إثراء الاحساس وتعميق الوعي)[٤٣]، فالرؤية الأسلوبية الحديثة لموضوع الاستعارة قامت في الأساس على تأكيد الجانب الانفعالي فيها، يقول ريتشاردز فيها: ((إن الاستعارة شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللغوي إنّها انحراف عن اللفظ الاعتيادي للاستعمال)) [٤٤].

وتبرز أسلوبية الاستعارة في نقل المعاني إلى ذهن المتلقي بأقصر العبارات، ولاسيما إن هذا الأدب قد احتوى على ملكة تصويرية قوية متأتية من احساس الإمام(عليه السلام) تجاه الأشياء؛ لذا فقد أُستعمل صوراً استعارية متنوعة لهذا المعنى منها ما جاء في تأبين الإمام علي(عليه السلام)، ((**إيها الناس، إنه قتل فيكم الليلة رجلاً كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبعثه فيكتنفه جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فلا ينثني حتى يفتح الله ما ترك إلا ثلاثمائة درهم**)) [٤٥].

تعكز الإمام الحسن(عليه السلام) في هذا النص على الاستعارة حينما لم يعرض صراحةً إلى ذكر الإمام ومزاياهُ المعروفة، فعمد إلى أسلوب خاص ما يفعله إلا ابلغ الخطباء وأبرعهم باعًا في المناسبات على اختصار الكلمات، فهو يؤبِّنْ أباه بما لا يسمع أحدً من قبله مستعيراً قوله: (فيكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره)، لم يصرح المتكلم باللفظ المستعار، وهذا التأبين ينظر إليه من زاويته الربانية – نظرة إمام إلى إمام- فألهمهُ هذا المنظر، ليخرج بهذهِ الصورة التي عمد من خلالها إلى استعارة فحواها بأن هذا الإنسان بين جبرائيل وميكائيل، فهو إنسان ملائكي شبهه بهم مرتبةً ومكانةً عندما عدل عن التصريح به، ترفع روحه يوم

يرفع موسى، ويموت يوم مات موسى، وينزل إلى قبره يوم ينزل إلى الأرض، وباستعماله الفعل المضارع المعطوف (فيكتنفه) الذي يدلُ على الرعاية الإلهية مما أثرى هذهِ الصورة وليوصل للمتلقي ما خالجهُ من تصور بأن مارآهُ ينطبق وصورتهِ المتخيلة، وليضيف بعد ذلك إيماءاتهُ الأسلوبية من خلال النفي المأطر بالتأكيد (فلا ينثني حتى يفتح الله)، أي الذي اتحدث عنه مراحل استشهاده كانت كلها بين ملك مقرب ونبي مرسل وكتاب منزل، ومع رسول يفديه بنفسه، فلم يعد من معركة إلا ونصره الله وفتح على يده الإسلام، هذا الأسلوب الرائع الفريد فيما أبَّنْ به أباه (عليهما السلام) كان أبلغ تأبين في ظرفه، وأليفه بهذا الفقيد المبجلِ، فشكل من خلالهِ صورة استعارية هي الأجمل كونها كالحقيقة لقربها وبيانها، ((فبلاغة الاستعارة ليست رهينة بكونها صورة ذات صفات حسية وإنما مرجعها أنّ الصورة ذات الصفات الحسية تعبير عن تمثل خيالي)) [٤٦].

ويتكئ الإمام(عليه السلام) على صورة الاستعارة في خطبته له واصفا النجوم، إذ يقول:(( **ثم أجرى في السماء مصابيح ضوؤها في فتحة وحارثها بها وجال شهابها... وجعل فيها أدّلة على منهاج السبل لما أحوج إليه الخليقة من الانتقال والتحول والاقبال والادبار**)) [٤٧].

يرفل هذا النص بالتراكم الاستعاري (المكني)، فاستعار الإمام الحسن(عليه السلام) لصورة النجوم وضوؤها البراق وتحركاتها، صورة (مصابيح في فتحة وحارثها بها وجال شهابها) واستتباباً منهُ لتدعيم الصورة الاستذكارية التي جاءت به الخطبة فقد أثراهُ بالأفعال الماضية (اجرى، جعل) وكدلالة على ثبوت تلك العظمة لله تعالى، ونلمح السجع في الفاصلة لألفاظ (ضوؤها، وحارثها، شهابها) رغبةً من المتكلم في التركيز عليها بوصفها تمثل المفردات الرئيسة في تكوين الصورة الاستعارية، وفضلاً عن أنها شكلت إهتزازات نغمية ساهمت في تدعيم موسيقى الصورة.

ثم ينقلنا(عليه السلام) إلى صورة جديدة يحققها من خلال التوظيف البنائي والتعالق الدلالي الحاصل في(وجعل فيها أدّلة على منهاج السبل) فجعل منه تلك النجوم طريقاً يهتدي إليه القدماء لمقاصدهم، بما تحمله من معاني الابانة والوضوح والوصول، وتلك الصورة جاءت عن طريق اعتماد (المجاز الاستعاري- المكني)، وذلك بتشبيه تلك النجوم بالمحطات التي يهتدي بها المسافر، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦] فإن المسافر إذا أصبح في البحر ولجة الليل وضل به الركبان، ومل الحادي، وحار الدليل نظر إلى النجم، فاهتدى بإذن الله، فقد حذفها وجاء بلازمة من لوازمها وهي( منهاج السبل)، وأود الإشارة هنا إلى التقارب الدلالي بين(الانتقال والتحول والاقبال والادبار)، فهذا الترابط والتداخل البنائي والدلالي شكّل لوحة يحلو الوقوف عندها للتأمل حتى ليرجو المتأمل أن يعيشها على وجه الحقيقة لما حققه التشكيل المعتمد في بناء الصورة الاستعارية من حركية كأنها ماثلة للعيان، فهي زينة للسماء قال الله تعالى: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ } [فصلت:١٢]، وكل ذلك يخدم البعد الدلالي للاستعارة هي الحكمة من هذا الخلق العظيم: وهي الاستدلال بالنظر فيه، ومعرفته على عظمة الخالق جل وعلا، والتفكر في آلائه وأنعامه، والتبصر في كونه، وما أودعه من حكم وعجائب، كلها تدل على أن الله عز وجل واحد في ذاته وصفاته.

وقد وجد أدب الإمام (عليه السلام) بمجازات استعارية متعددة منحت المتلقي فرصة المشاركة والتمتع من خلال الإيحائية التي خلفتها التراكيب المعتمدة في إنتاج الاستعارة التصريحية، فقد جاء في مناظرته (عليه السلام) في التعريف بنفسه، و مساوئ معانديه، فقال:((**انا شعبة من خير الشعب، وإبائي، اكرم العرب، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة انبتت فروعا نامية، واثمارا زاكية، وابدانها قائمة فيها اصل الاسلام، وعلم النبوة فعلونا حين شمخ بنا الخفر واستطلنا، حين امتنع بنا العزّ**)) [٤٨].

فالمجاز الاستعاري في النص يحمل خصيصة أسلوبية بانزياحية بارزة، خلال التداخل بين التشبيه والاستعارة فالجزء الأول من النص المتمثل بقوله(عليه السلام):((انا شعبة من خير الشعب، وإبائي، اكرم العرب، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب)) تشبيه قولي تضافرت اجزاؤه في تقديم الاستعارة، بينما جاء التشارك الاستعاري بين( المكنية والتصريحية) في الجزء الاخر من النص ((ونحن من خير شجرة انبتت فروعا نامية، واثمارا زاكية، وابدانا، قائمة فيها اصل الاسلام ))، وقد وُظف الإمام(عليه السلام) كلاهما بطريقة جاءت مزدانة بحركية أضفت على النص سعة في الفضاء الدلالي عن طريق التداخل الاستعاري في الصورة الواحدة في ضمن الفقرة الواحدة من جهة، وعن طريق التشخيص والتجسيد اللذين اعتمدها الإمام (عليه السلام) مما أعطيا لمسة مسرحية(حركية) تشد المتلقي للتفاعل والتواصل من جهة ثانية. وكان ذلك بجعل (الشجرة) وكأنها ماثلة للعيان شاخصة وهذه الشجرة ضرب الله بها مثلا في الذكر الحكيم﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَ﴾ **(إبراهيم: ٢٤- ٢٥)** تلك هي شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، إنّها شجرة أصلها المصطفى، وفرعها المرتضى، وغصنها الزهراء، وثمرها الأئمة النجباء.

وما لهذه الشجرة من صورة تجعل النص في حركة مستمرة جسدها اللفظ(نامية) ذلك النمو الذي له القدرة على القيام بما يمكن أن يقوم به من ميزة الاستعارة، ثم دلَّ على ذلك النمو من خلال التجسيد الذي اعتمده في تكملة الصورة المفترضة بجعل (وعلم النبوة فعلونا حين شمخ بنا الخفر واستطلنا، حين امتنع بنا العزّ) فعمل الإمام الحسن(عليه السلام)على تعزيز المفهوم الدلالي تصاعديا بتوظيف القوى التركيبية(البنائية) للأفعال(فعلونا، استطلنا) لما يتضمنه من معنى القصدية استعار الإمام (عليه السلام) لذلك العلو شموخ الاستجارة وطلب العلم منهم والسؤال لا يكون إلا لديهم، فزقو العلم زقا، فاستشرفوا على الامة حين نُصب العداء لهم من الباغين والفجرة، واستشرقوا كالأقمار المنيرة مضيئة علما وعدلا وكرما وشجاعة﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ فهذه الصورة الحية التي رسمها النص تجاوزت حد المبالغة ليجعلها بذلك المعنى المسبوك ما يدل على الحركة والاستمرارية لهذهِ المعاني السامية باختيارهِ تلك الأفعال المضارعة كما أسهم تكرار الضمير المتصل الـــ(نا) في إضافة نغمٍ موسيقي واضح ودائم الحركة الصاخبة التي اعتلت النص، وعلى هذا الأساس تظهر أهمية الاستعارة إذْ يُخرج

المتكلم اللغة من معجمها إلى لغة جديدة يخلقها هو بالاعتماد على الاستبدال، أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة؛ لأنها(( عملية أسلوبية تعتمد تبادل الأماكن بين الدوال والمدلولات)) [٤٩].

وقد توافرت (الاستعارة) بدلالة(الإشارة العقلية)، وذلك في قوله(عليه السلام) لمعاوية ومن معه:(( **ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الاخرة**))[٥٠].

وهنا يلحظ تراكم استعاري وذلك ما نلتمسه في(ذق وبال ما كسبت يداك) وحينما نمعن النظر نجد الاستعارة تقوم على اكتناز إيحاءات، ترمي إلى تصوير الاشياء بمشاهد عقلية من أجل تقريبها – قدر الإمكان–إلى ذهن المخاطب مع المحافظة على جمال الأسلوب وقوة التعبير، ففي النص المتقدم اعتمد الإمام الحسن(عليه السلام) على استعارة ذلك التوبيخ الحقيقي بالفعل(ذق) مع ترك الباب مفتوحا لتصور المتلقي في المصدر(وبال) المرادبه العَذابُ الشديد فِي الآخرَة مع الالتفات إلى الجملة(ما كسبت يداك وما جنت) التي شكلت بؤرة ارتكازية لتشكيل السياق التحقيري مشاركة السياق اللفظي مما أعطيا زخما معنويا ونفسيا أضفى زخما دلاليا– فضائيا بما يتوافق والمقام، ثم استعار(كسبت، جنيت) بما تحمله هذه الالفاظ من معنى، فالأولى: ما يتحرّاه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظّ، كَكَسْبِ المال، وقد يستعمل فيما يظنّ الإنسان انه يجلب منفعة ثم استجلب به مضرّة، والثانية: إنه استعار من جنى الثمرة للتعبير على ما يفعله الإنسان من الذنب والجرم مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة فهذه الترادف الجزئي للألفاظ يأخذ بعدا تصويريا آخر، وهذا البعد يمد المخاطب بالتنبيهات العقلية فيتطلب من المخاطب إعمال فكره من اجل الربط بين ذهنية وتلك المشاهد التصويرية، بينما الغاية من الاستعارة هي إيضاح المبهمات، والإجابة على أي أسئلة تطرح من المتلقي، فيأتي الجواب في قوله(وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الاخرة) واضعا القارئ أمام أدلة عقلية حقيقية تختزلها تلك الاستعارة، ومفادها إنَّ معاوية عطل الحدود، وارتكب الموبقات، والفواحش التي احتقبها، والدواهي التي حدثت في زمانه والغاشمين الذين أشركهم في سلطانه ففعلوا الأفاعيل وقهروا الأمة بالأباطيل وساموا عباد الله سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، فالنص يجمع بين الوضوح، والدقة من جهة، وبين التأثير في النفس، والبلاغة العالية التي تناسب المقام من جهة أخرى، وتجدر الإشارة إلى كل ذلك دعم قضية النص وهي التأكيد على نيل معاوية ومن معه أشد العذاب.

وفي الختام نؤكد إن الاتساع الدلالي امتلك طبيعة أسلوبية وتأويلية من خلال الأدوات (الترادف، المشترك اللفظي، المجاورة، الانزياح)؛ لتعطي مؤشراً أسلوبيا مع اتساع العبارة التي تولد استجلاب للمعنى الأدبي، إذ إنّ التصوير البلاغي مبني على نوع من الإدراك العالي الذي تتحول فيه الصور من طبائعها المعتادة إلى صور جديدة وحقائق تمتلك معاني جديدة، وذلك من خلال تواشج الإحساس الوجداني مع الرؤية الفنية التي تسهم فيها الألفاظ .

**الخاتمة:**

قد شكل الاتساع الدلال يخطوه لها أثر بارز في البنية الدلالية للنص من حيث استعمال الاتساع ألفاظٍ بدلالتها المتطورة، وجاءت ألفاظ أخرى من طبقة الانطباق كله على معانيها.

توظيف الطاقة الصوتية في الألفاظ لإبراز الدلالات وتوسيع المعاني، فضلا عن تواشج مكونات البنى (الاشتراك اللفظي، الترادف) محملاً إياها معنًى ذات بعدٍ دلاليٍ لما يتمتعان به من قدرةٍ عاليةٍ على الإيحاء والإشارة.

وظفت البنية المجاورة (الكنائية) من أجل خدمة بنية النص الدلالية، وكان للكنايات وجود فعال في نصوص الإمام الحسن(عليه السلام) إذ عمد مبدع النص الى توظيفها في نصه، مما شكلت روافد لغوية تصب نحو دلالة تغني النص وتسوقه تُجاه دلالة واضحة.

أظهر الكشف الأسلوبي قدرة الإمام(عليه السلام) على نقد المعاني إلى ذهن المتلقي بأقصر العبارات.

التراكم المجازي حقق زخما دلاليًا موازيًا لتعدد الصور المنتجة في النصّ، ومجموع هذه الصور وهذه الدلالات كان معتمدا في الكشف عن البؤر الارتكازية.

**الهوامش:**

(١) ينظر: الكتابة في درجة الصفر:٣٣/٣٢.
(٢) ينظر عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده،أحمد مطلوب : ١٤٦ .
(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي: ١٧٣.
(٤) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة: ٧١ .
(٥) مسند الإمام الحسن، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي:٣٢٤
(٦) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ضغن):٣/ ٣٦٤، مادة (غلَّ): ٤/ ٣٧٦.
(٧) مسند الإمام الحسن: ٣٠٨.
(٨ ) ينظر: تاج العروس، الفيروز ابادي، مادة(كرم): ٣٣/ ٣٣٧.
(٩) ينظر: المفردات في غريب القران، الراغب الاصفهاني: ٤٨٨.
(١٠) تاج العروس،(جبا)، الزبيدي: ١/٨٠.
(١١) مسند الإمام الحسن: ٦٠٤.
(١٢) لسان العرب،مادة (هرب، فرَّ): ١/ ٧٨٣.
(١٣) التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد: ٧.
(١٤) ينظر: المشترك اللفظي في اللغة العربية، د. عبد الكريم شديد: ٩٤.
(١٥) مسند الإمام الحن: ٣٥٤

(١٦) ينظر: التصاريف، يحيى بن سلام: تحقيق: هند شلبي: ٩٦-١٠٠

(١٧) مقاييس اللغة : ٤٢/٦(هَدَيَ)

(١٨) خصائص الأسلوب في شعر العباس بن الأحنف، فرحان الحربي: ٢٤٩.

(١٩) مسند الإمام الحسن: ٣٢٥.

(٢٠) ينظر: التصاريف، يحيى بن سلام: ١٠٢.

(٢١) مسند الإمام الحسن: ٣٠١.

(٢٢) ينظر: مقاييس اللغة ابن فارس، مادة عين): ٤/ ٢٠٠.

(٢٣) مسند الإمام الحسن:٤٠٠.

(٢٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة(طرف):٩/ ٢١٣.

(٢٥) نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج :١١٠ .

(٢٦) ينظر: فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي: ١٤٣.

(٢٧) إعراب ثلاثين سورة،ابن خالويه: ٦٨ – ٦٩ .

(٢٨) دلائل الإعجاز / ٥٢.

(٢٩) مسند الإمام الحسن: ٣١٢.

(٣٠) مسند الإمام الحسن: ٢٥٦.

(٣١) مسند الإمام الحسن: ٣٥٧.

(٣٢) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي: ٢/ ٦١.

(٣٣) مسند الإمام الحسن: ٥٩٥.

(٣٤) ينظر: النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة: ١٦٦.

(٣٥) ينظر: الأسلوبية الصوتية ، عادل نذير:١٥٢.

(٣٦) م . ن: ١٠٨.

(٣٧) ينظر: الخصائص، ابنجني: ٤٤٢/٢.

(٣٨) مسند الإمام الحسن: ٣٩١.

(٣٩) مسند الإمام الحسن: ٥٩١.

(٤٠) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك: ٦٥.

(٤١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ١٨.

(٤٢) أ.ريتشاردز في الاستعارة، ترجمة ناصر حلاوي، ٢٧٠.

(٤٣) مسند الإمام الحسن: ٢٧٢.

(٤٤) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف : ١٣٨.

(٤٥) مسند الإمام الحسن: ٤٩٤.

(٤٦) مسند الإمام الحسن: ٦٢٦.

(٤٧) الصورة الفنية في شعر الطائيين، د٠ وحيد صبحي كبابه: ٢٤٢ ٠

(٤٨) في ماهية النص الشعري، محمد عبد العظيم: ٩٥ ٠

(٤٩) مسند الإمام الحسن: ٦٢٤.

(٥٠) ينظر: المفردات في القرآن،الراغب الاصفهاني: ٧٠٩.

## المصادر والمراجع


- أ.ريتشاردز في الاستعارة، ترجمة ناصر حلاوي، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد التاسع، ١٩٧٤.
- الأسلوبيّة الصوتيّة في شعر أدونيس، د. عادل نذير بيري الحساني، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، الحلة، دار الرضوان للنشر المملكة الأردنية الهاشمية، ط١ ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ) دار التربية للطباعة والنشر، بغداد (د.ت).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).
- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م .
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ه، ١٩٨٦م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د . ت.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، (د٠ط)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م٠
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ )، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت ط١٤٢٢،١هـ - ٢٠٠١ م.

- الصـــورة الأدبية، د٠ مصطفى ناصف، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م .
- الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحسّ: د. وحيد صبحي كبابه،(د٠ط )، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م.
- عبد القاهر الجرجاني- بلاغته ونقده - أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات. الكويت. ط١. ١٩٧٣م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: د. صلاح فضل، (د٠ط)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م .
- فقه اللغة العربية، الدكتور كاصد ياسر الزيدي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة البصرة، ١٩٨٧م .
- في ماهيّة النص الشعري، إطلالة أسلوبية من نافذة التّراث النّقدي، محمد عبد العظيم، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- الكتابة في درجة الصفر، المركز العربي للنشر، الرباط، ١٩٩٩.
- كشف الغمة في معرفة الائمة، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٥.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـــ)، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر-بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـــ.
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي- تلازم التراث والمعاصرة، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣.
- المخبر قصيدة للسياب دراسة اسلوبية، شيماء محمد كاظم الزبيدي، مجلة جامعة بابل العدد الخامس عشر،٢٠١٦ shamaaalzobaydyey@yahoo.com
- مسند الإمام المجتبى أبي محمد الحسن بن علي(عليهما السلام)، جمعه ورتبه: الشيخ عزيز الله العطاردي، موقع الغدير www.elqadir.com.
- المشترك اللفظي في اللغة العربيـــة، د. عبد الكريم شديد محمد، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات- سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، العراق- بغداد، ١٤٢٨هـــ-٢٠٠٧م.
- معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـــ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـــ)المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١،- ١٤١٢ هـــ.

- النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط١، ١٩٨٣
- نظرية علم النص- رؤية منهجية في بناء النَّصِّ النثري، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.